فقال للساعي لهانت زوجتي بغنية ولكنها لم تعطني شيئاً من مالها قال نعم ولكن يكفيك انك تزوجت بامرأة جامعة لحالتين من احسن الاحوال وهما الغنى وحسن التدبير

***

اشترى احدهم خاتماً للخطبة ليقدمه الى خطيبته ولكنه جاء واسعاً على اصبعها فارجعه اليه ليبدله باضيق منه فقال له الصائغ ان خاتم الخطبة لا يهم اتساعه بالاطلاق لانه مهما كان واسعاً فمن المستحيل ان يسقط من يدها

***

ليس ادل على ضعف الانسان في اعتقاده من رجل اصلع يشتري زجاجة دواء ليرد شعره الى رأسه

***

سألت امرأة طبيباً أصحيح ما يقوله الاطباء من ان التقبيل يسبب امراضاً فاجابها نعم يا سيدتي فانه يحدث خفقاناً في القلب

*

يقال ان المرأة لا تقبل زوجها وفي فمها دبابيس الا بعد سنة من زواجهما

*

سأل معلم جغرافياً تلاميذه . كيف تنقسم الارض فأسرع احدهم في الجواب وقال تنقسم بالزلازل

*

سأل عازب متزوجاً أصحيح ان المتزوجين يكونون سعداء قال نعم انهم يكونون كذلك بشرط ان يكونوا صماً بكماً

شرف وهيام[1]

— أموت لديك حباً وهياماً

— خذ الفؤاد عربوناً للوداد الابدي

— أواه ! أصحيح ما تقولين ام هذا صدى غرامي ترجعه الاوهام

— يشهد هذا البدر المنير وراء الغمام . يشهد هذا الروض الاريض وازهاره . يشهد مبدعها السرمدي انني لا احب سواك وقد آليت على نفسي ألا امزج حياتها بغير حياتك

وسمع عن بعد وطء اقدام خفية تدوس مروج البستان النضرة . فذعر العاشقان خشية الرقباء وتواعدا الى الغد فسارت الفتاة كالظبي الشارد بين الاشجار تدير رأسها كل خطوة لترسل الى المحبوب نظرات الحب واشارات الوداع . وتسلق الشاب جدران الحديقة العالية وتوارى مبتعداً في الشارع وهو يقول بنفسه . من هي تلك الفتاة التي تتفانى لاجل حبي ؟ يظهر انها ابنة نعمة يسري في عروقها دم الشهامة والشرف ومع هذا اراها تحبني حباً صادقاً واست انا الا مشخص روايات في الملاعب العمومية . لقد اخفت اسمها عني اذ قالت — ما دمت في الدير اتلقن العلوم فانا اسيرة لا املك حرية نفسي . اكتفِ بحبي الان وبعد خروجي اكشف لك الحقيقة وليس ذلك بالامر البعيد فاسلمك يدي امام الله والشريعة

هذا ما كان يردده الفتى المغرم فلوريدور وهو تائه في مهامه الخيال

(١) بقلم حضرة الكاتب الاديب فليكس افندي فارس

متذكراً يوماً شاهد به محبوبته مطلة من كوة الدير اذ رمته بلحاظ كأنها شرارة سقطت من عالم الاقدار لتشعل بفؤاده نار هيام خامدة

وداوم سيره ببطء حتى وصل الى مسكنه البسيط وهناك انطرح على الفراش بتعب آملاً زيارة المحبوبة وهماً بين تعاقب الاحلام وقال . غداً يا طول شوق المستهام الى غد !!

وما طلع الفجر حتى سطعت بفؤاد المغرم اشعة الآمال وما مرت سحابة ذاك النهار وساد الظلام حتى سادت عواطفه عوامل الشوق فسار على جناحه حيث يؤمل اللقاء واطفاء سعير الجوى فتسلق الجدار بخفة ووقف بالمكان المعهود وبات ينتظر موافاة الحبيب ولكن حبطت آماله اذ لم يرَ في تلك الليلة احداً فرجع يتعثر بدموعه ليعاود الكرة مرة أخرى فمرت ايام عديدة وهو يزور البستان كل ليلة فيراه قفراً لا تشنف أذنيه من فم الحبيبة بلابل الغرام ولا يضم عوضاً عن ذلك القد السمهري غير خيال وهمي يتراءى له من عظم وجده وهيامه

اي يد ظالمة اختطفت منه ملاكه المحبوب واي قلب صخري حكم بفصم عرى وصل انبت معه حبل رجائه ليفقده الحياة بافقاده من حببت اليه الدنيا وأرته في صحارى العيش ماء سعادة حكم القدر بالا يكون غير سراب خداع فلم يشك الفتى بافتضاح سر هواه ومطل حبيبته شاهد على ابتعادها عن الدير اذ لم يقف لها في تلك النواحي على اثر ...

٢

ومرت على العاشق ايام ساعاتها اعوام يشخص الادوار في الملاعب

وفي فؤاده من حب الفتاة المجهولة اثر يهيج بلبه الاشجان فيذكر اوقات لقاء لا يؤمل ان تعود حتى انه في ذات ليلة وهو يشخص احد الادوار المؤثرة حانت منه التفاتة حيث يجلس الاكابر والاعيان فرأى الحبيبة جالسة تنظر اليه وعلامات الحزن الشديد مطبوعة على اسارير جبينها الوضاح وعيناها السوداوان تسكبان الدموع فاصفر وجهه وتلعثم لسانه وصار شاخصاً بذهول يتأمل بذلك الجمال الرائع الذي طالما اسكب ذكراه دموعاً لم تبرد من فؤاده سعيراً . الى ان نبهه صوت الهامس الذي حسب انه نسي الدور فعاد الى اتمام التشخيص بحمية ونغمة لا يحدثها الا الغرام وكان يفرح اذ يشاهد على سمات حبيبته تأثير اقواله الفصيحة . وما انتهى من التمثيل حتى هرع الى قاعة الثياب وخلع الرداء المخمل الذي كان متشحاً به وتردى اثوابه العادية وسار بسرعة الى خارج النادي لعله يشاهد الصبية فذهبت مساعيه ادراج الرياح . ودام على هذا الحال ليالي عديدة يراها عن بعد ولا يقدر ان يكلمها فوهى صبره وازداد حسرة بلقاء اعذب منه امر فراق

وفي احد الايام اذ كان فلوريدور جالساً في غرفته غارقا بلجج الاحزان دخل عليه شيخ مهيب تدل اثوابه على انه من الاعيان وتظهر هيئته سمو مكانته فنهض المشخص واقفاً اجلالاً لزائره الكريم . وبعد مبادلة التحية قال الشيخ المجهول وعلامات الاضطراب بادية على محياه

— عفواً ايها السيد اذا كلمتك بحرية ولا سابق معرفة خصوصية بيننا ولكن من الامور ما يجيز اختراق الآداب المألوفة ولديّ امر هام جداً عليه مدار سعادتي وشرف اسمي اتيت لا كاشفك به وبما انني نبيل وانت من كرام الناس فها انا اتكلم بدون توطئة

— تكلم يا مولاي فانا صاغ

— هب انك امير ولك ابنة جميلة في ريعان الشباب ومقتبل العمر بديعة الحسن كديانا آلهة الصيد وهي وارثة اسمك الوحيدة . وقد وجدت لها عروساً من اعاظم الدولة تحسده الملوك على فخره ولم تقبل ابنتك بما اعددته لها من الكرامة والسعادة فما تفعل ؟

— اترك لها الحرية اولاً واجتهد لاكتشاف اسرار قلبها لعل به ميلا لا يقاوم يدفعها الى غير ما اعددت لها

— واذا وجدت بقلبها غراماً ؟

— أطاوعها على ما تريد واساعدها على الاقتران بمن تحبه لان الحبيب وحده قادر ان يجعل الفتاة امرأة سعيدة

— هذا غير ممكن

— لماذا ؟

— لان الفتاة التي اتكلم عنها لهي وحيدة الدوق پارسلان احد نبلاء القصر الملكي وها هو ماثل امامك الان ولان الذي تهواه بجنون هو شريف بلا شك ولكنه ليس الا مشخص روايات

— فهمت يا مولاي . ان بتنازل مدموازل پارسلان الى حب من هو دونها نسباً لعاراً تأباه النفوس الابية في كل سلالة شريفة . ولكن ما تعني بكل هذا

— لقد أبهم عليك الامر فها انا اصرح . ان الممثل الذي امتلك فؤاد وحيدتي لهو انت ايها السيد فلوريدور

— انا!! اجاب هذا باضطراب ظاهر

— عفواً عن هذا الاقرار الذي يمس احساساتك الرقيقة ولكن تيقني بشرف نفسك جرأني على ذلك فلا تحبط آمالي . اتقدم اليك وشافعي كرم اخلاقك ومروءتك ... فانك على ما يبدو لي لا تعرف ابنتي ولم ترها قط ولهذا اتيت طالباً منك ضحية لا تكلفك شيئاً اذ بذا خلاص اسمي من العار وشفاء وحيدتي من داء عز دواؤه دون الاقتران بك

— وكيف ذلك ؟

— باقتلاعك من فؤادها جراثيم غرام انت علتها الوحيدة

— وباي طريقة اقدر على هذا

— اسمع ما ارتأيت . بما ان ابنتي لم ترك الا عن بعد وانت على الملعب مترديا اثواب الابطال تنشد اشعاراً سامية . تقدر ان تطرد من افكارها تلك التخيلات باظهارك لديها تحت مظاهر البساطة فترى بك عوضاً عن رجل المروءة رجلاً دنيئاً وتعرف بك عوضاً عن الهدوء عادة السكر فيتأكد عندها انها لم تعشق منك غير ثوب التمثيل واشعار الشعراء

اطلب منك ان تظهر لديها بهذه الصفات فتحتقرك اذ ذاك وتشفى من دائها العقام لان بالاحتقار فقط سيفاً يقطع حبال التعلق والهيام

فلم يحر فلوريدور جواباً . ومن يدري ما كان يشعر بفؤاده لدى وقع سهام هذا الكلام عليه . فلو كان ما يقوله الدوق عن ابنته صحيحاً بانها لم تره الا عن بعد لسهلت عليه الضحية ولكن كيف يقوى فؤاده على احتمال بعادها بعد ان ضمها مراراً اليه . فصمت يتنازعه عاملان عامل حب يفوق قواه وعامل شرف يدفعه للاستشهاد على مذابح الشوق والبعاد مرضاة لخاطر عظيم بل محبة بصالح حبيبته لان من الغرام ما يفوق حقيقته فيقود صاحبه الى ابادة

حياته اذا كانت تلك الحياة تسبب باضمحلالها سعادة المحبوب. ولما طال سكوت الممثل اردف الدوق كلامه قائلاً — لا تتردد ايها السيد ... لانني اتوسل اليك . هذا والد يجمع بوحيدته شوارد آماله. هذا شيخ ضعيف. هذا احد اعيان فرنسا وطنك يتضرع اليك ان تقي اسمه الشريف من العار لئلا تجبره برفضك على استعمال القسوة نحو ابنته بدلا عن الحب الذي يحفظه لها . افعل هذا فاحفظ لك جميلا اكافئك عليه. وادمى كلام الشيخ فؤاد الفتى فاقسم هذا باتمام مرغوب الدوق ووعد ببذل جهده في سبيل اسقاط حبه من مخيلة الفتاة

٣

وفي اليوم التالي عند الظهر دخل خادم الدوق پارسلان الى غرفة سيده واخبره بحضور فلوريدور الممثل الشهير فقال الدوق

— ادخله الى قاعة المائدة وها انا ذاهب لاوافيه اليها

وما دخل فلوريدور الى القاعة الواسعة وصافح الدوق حتى فتح الباب ودخلت مدموازل پارسلان فقال لها والدها

— اعرفك بالخواجا فلوريدور احد ممثلي الملعب الملوكي الذي طالما اطربنا بحسن تشخيصه وهو اليوم مشرف ايانا للغذاء على مائدتنا ولا اشك انك تقتبلينه بسرور

فطأطأ فلوريدور رأسه ليفكر باي فظاظة يجب ان يبتدي بلعب الدور الذي اقسم بتمثيله . وما رفع ابصاره اليها حتى اصفر شديداً واخذته رجفة عصبية اذ رأى فتاة الدير تلك التي قبل شفتيها مراراً تلك التي احبها حباً يفوق التصور البشري واقفة امامه مادة يدها لمصافحته وهي صفراء قد خطف الحياء لون وجنتيها الوردي

ما يفعل يا ترى ذلك العاشق المسكين ... يرى ذاته محاطاً بمجالي الفخفخة والعظمة ماثلاً بين يدي اعظم رجل في الدولة وبقربه ابنته تلك التي اقسمت له وداداً ابدياً . فعرف اذ ذاك عمق الهاوية التي تصده عن الوصول اليها مع انها تحبه باكثر من حبه لها وتذكر وعده للدوق واعتمد على تقديم الضحية مهما كلفته وعزم على استعباد هيامه للشرف وهكذا يصبح وحده معذبا عذاباً جهنمياً ليرد السعادة الى ملاك كريم. فتجلد متحملا سعير نار كاوية وعمد لاتمام امر الدوق لعله يطفي من فؤاد العذراء شرارة تكاد تضرم لهيباً هائلاً . وجلس على المائدة مذعناً لاحكام الزمان. وابتدأ يشرب المشروبات العديدة مبتلعاً منها كمية وافرة واخذ بتشخيص دوره متكلماً بلهجة تشمئز منها النفوس الابية لاعناً ضارباً بيده على الخوان واخيراً تدحرج على الارض ساحباً معه غطاء الطاولة وما عليها من الاواني الثمينة فتكسرت كلها بفرقعة اخفي صوتها بعض تنهدات كانت تخرج من صدر شهيد المروءة رغماً عنه . وبعد ان خرجت مدموازل پارسلان من القاعة التفت الدوق اليه بعين الرضى وقال له — تفوق مروءتك ابداعك بالتمثيل فقد جبرت فؤادي الكسير دعني اسديك شكراً .. ولكن ماذا ارى!! لم هذه الدموع .. وازداد عجب الدوق اذ لم يجبه فلوريدور بكلمة واحدة بل اندفع الى خارج القاعة كفاقد الرشد ودموعه سائلة على خده تخنق صوت عويله ونواحه

. . . . . .

٤

وبعد ايام قلائل كان فلوريدور سائراً بقرب كنيسة تختص باخوات دير الكرمليين فرأى جمعاً محتشداً في الاسواق المجاورة وسمع قرع الاجراس

علامة الاحتفال بحفلة غير اعتيادية فوقف برهة واذا بعربة مذهبة شقت الجموع وعليها شارات السيادة ووراءها عدد عديد من العربات الفاخرة فسأل احد الحضور عن ذلك فاجابه — ان هذه عربة الدوق بارسلان . وهو ذاهب مع الدوقة امرأته للاحتفال بشأن ابنتهما مدموازل بارسلان التي ... فابتعد فلوريدور بدون ان يسمع تمام الحديث وقال — اواه لقد نجحت مساعي واكاذيبي وها هي تتزوج بشريف مثلها .. لماذا لست الا مشخص روايات خامل الذكر . وسار ملتجئاً الى غرفته لسكب الدموع واذ وصل اليها رأى على الخوان ورقة معنونة باسمه ففض ختامها واذا بها ما يأتي :

« رغماً عن محاولتك اقتلاع حبك من فؤادي بقي شخصك نصب ناظري وغرامك لا يبارحني حتى الرمس . ولم يخف عليّ كم اجهدت نفسك بغية ارضاء خاطر والدي لانني عرفت ان اقرأ دائماً تحت نقاب التصنع اسطر حب خطها القدر على جبينك فلا تزول . ولهذا اقسمت ان لا اسلم يدي لاحد بعد ان سلمتك اياها امام الله ولا يمكن ان اتخذ لي بعلاً سواك . وبما ان هذا اصبح املاً بعيد المرام وكل شيء حتى ارادتك تفصلني عنك فضلت الانخراط في سلك الرهبنة لا بريء قسماً فهت به فلا احنث بميني

اليوم اتشح السواد والبس النقاب . وهذا الكتاب آخر فكر ارسله على الارض ابعث به اليك وحين اطلاعك عليه تكون حبيبتك مرغريتا دي بارسلان ميتة في هذا العالم لتحيا بالله

كاتبته

الراهبة ايناس

أنس الجليس

﴿ الجزء الخامس — السنة الخامسة ﴾

﴿ الاسكندرية في ٣١ مايو (ايار) سنة ١٩٠٢ ﴾

﴿ الموافق ٢٣ صفر سنة ١٣٢٠ ﴾

﴿ تأثر الحيوان ﴾

﴿ بالسعادة والشقاء ﴾

كثيراً ما يتفق للانسان حين تأمله فيما يجول حوله من هذا الحيوان الاعجم ان يسأل نفسه او سواها ما هي سعادة هذا الحيوان وما هو شقاؤه وهل هو فيهما على حد الانسان او لا . وهذا ولا شك سؤال يقتضي التأمل والاعتبار لانه اذا كان كنه السعادة والشقاء لم يتحدد في ذهن الانسان ولا درى لهاتين الحالتين تعريفاً ينتهي عنده البحث فانه من البعيد ان يعرف مقدارهما في الحيوان الاعجم وايهما اشد فيه تأثيراً او ايهما اشد له ملازمة ولا سيما بعد ما يبدو من شقاء الحيوان واستخدام الانسان لاكثر انواعه واستبداده به فضلاً عما اختص به الحيوان من العجمة التي لا يدري شعوره معها الا من طريق القياس او التخمين